الألفاظ المَعبِّرة عن المطر في القرآن الكريم
دراسة دلالية

أ.د. حسين محيسن ختلان البكري*

المقدمة

إنَّ من أجل العبادات وأدومها دراسة القرآن العظيم، والوقوف على ما فيه من إعجاز لغوي وبلاغي وعلمي، فقد أعجز فطاحل العرب، وتحداهم من أن يأتوا بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. وقد استهواني التعبير القرآني بسحره ودقة معانيه وصوره التعبيرية، فكتبت فيه بضعة أبحاث، وهذا البحث الذي أسلط الضوء فيه على الألفاظ المعبرة عن المطر الذي وقع في مبحثين اثنين هما:

المبحث الاول: الألفاظ المعبرة عن المطر عن طريق الحقيقة وتحته ثمانية ألفاظ هي:

١. المَطَر.
٢. الغَيْث.
٣. الصَّيِّب.
٤. الوَابِل.
٥. الطل.
٦. الوَدقْ
٧. الماء.
٨. الحُسْبان.

المبحث الثاني: الألفاظ المعبرة عن المطر عن طريق المجاز وتضمن أربعة ألفاظ هي:

١. السماء.
٢. الرزق.
٣. الرّحمة.
٤. الرجع.

أما منهجنا في الدراسة فيتمثل بإيراد الآية الكريمة التي تضمنت اللفظ ثم ضبط اللفظ وبيان دلالته اللغوية والاصطلاحية ومن ثم إيراد أقوال المفسرين للآية وبيان رأينا إن تطلب ذلك. أما المصادر فقد توزعت على كتب اللغة والنحو والبلاغة والأدب والتفسير والفقه .

واني لأبتغي في هذا البحث وسواه وجهه الكريم أرجو أن يجعله حجة لي يوم القيامة.

الباحث

* كلية التربية للبنات – جامعة بغداد.

المبحث الأول
الألفاظ المعبرة عن المطر
عن طريق الحقيقة

وردت في القرآن الكريم بضعة ألفاظ عبرت عن المطر عن طريق الحقيقة، وهذه الألفاظ لا يمكن أن تعد من المترادفات في رأينا، لأن كل لفظ يدل على معنى خاص به ، ويمكن أن يكون هناك تقارب بينها في المعنى ..فالترادف لا يقع في التعبير القرآني عند أكثر العلماء من لغويين ومفسرين وفلاسفة ، وهذه الألفاظ هي:

- المطر:

المطر: هو الماء المنسكب من السحاب، قال الشاعر:
لامَتْكَ بنتُ مَطَرْ   ما أنت وابنة مَطَرْ(١)
والميم، والطاء، والراء أصل يدل على معنيين: أولهما:الغيث النازل من السماء، وثانيهما:جنس من العدو (٢) .
يقال : مطرَتْ السَّماء تَمطرُ مَطرا ، وربما قالوا: مَطْرا _ بتسكين الطاء ، جعلوه مصدرا ، وأمطرَت السماء لغة فصيحة (٣) . فمَطرَت وأمْطرَت بمعنى واحد (٤) ، وقد يكونان مختلفين. وسمّت العرب مَطرا و مُطَيْرا (٥)، قال الأحوص الأنصاري:
سلامُ اللهِ يا مَطَرٌ عليها   وليسَ عليكَ يا مَطَرُ السَّلامُ (٦)
ومطر الثانية: اسم رجل تزوج إمرأة كان يهواها الأحوص ، فغلب الأحوص على أمره فقال قصيدة منها هذا البيت يتشبب بها.
ومنه الشاعر الحُسين بن مُطَيْر . وثمَّة فرق بين (المَطَر) و (الغَيْث) ، وكان أكثر العلماء والدارسين لا يفرقون بين (المطر) و (الغيث) فكانوا ينظرون الى اللفظين وكأنهما مترادفان، والحقيقة إن لكل لفظ معنى خاص به ، وأول من تنبه إليه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) إذ قال: (... وكذلك المطر لأنّك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر ، وبين ذكر الغيث) (٧).
وتابع الجاحظ عدد من العلماء كأحمد بن فارس إذ قال: (وقال الناس لا يقال أمطرنا الا في العذاب) (٨).ودليل ماذهب إليه الجاحظ ومن تابعه قوله تعالى: (وأمطرنا عليهم حِجارةً من سِجّيل) (٩)، والسجيل طين متحجر.وقوله جلَّ تناؤه: (وأمطرْنا عليهم مَطرًا ، فساءَ مَطَرُ المنذرين) (١٠) ، وقوله عز وجل: (ولقد أتوا على القريةِ التي أمْطِرت مَطرَ السَّوْءِ) (١١) .والقوم الذين أخذهم الله بالعذاب والانتقام هم قوم لوط (عليه السلام) ، في قريتهم سدوم. (١٢) وقد فسر الطباطبائي قوله تعالى: (فأمْطِر علينا حِجارةً من السماء أو ءاتِنا بعذابٍ أليم) (١٣) بقوله: (أي فلما رأوا السحاب هذا عارضا استبشروا خيرا ، واعتقدوه مَطَرا) (١٤)، ويمكن أن نقول أنّ هناك معنى حقيقيا للمطر وهو الماء المنزل من السماء ، ومعنى مجازيا وهو الحجارة المنزلة من السماء في موضع الانتقام والعذاب ..إلاّ أن المعنى الحقيقي شاع في كلام أكثر الخاصة والعامة، في حين اقتصر المعنى المجازي على التعبير القرآني إذ لا تجد القرآن يلفظ بالمطر إلا في موضع الانتقام والعذاب كما ورد.

- الغَيْث:

الغيث في اللغة الإصابة ، وأغاث الغَيْثُ الأرضَ أصابها (١٥) بالمطر ، وهو الماء المنزل من السحاب إلى الأرض ، وربما سمي السحاب (١٦) غيثا لأنه يغيث الأرض بالنبات والكلأ .
ويقال: أغاثنا الله بالمطر ، أي كشف الشّدَّةَ عنّا به (١٧) ، قال تعالى: (ثمَّ يأتي من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون) (١٨) ، أي يغاث الناس بالمطر والغيث والكلأ ، فالغيث هو ماء السماء النافع في وقته.
وقد ورد (الغيث) في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها قوله تعالى: (هو الذي ينزّل الغَيْث من بعد ما قنطوا وينشُر رحمته ، وهو الوليُّ الحميد) (١٩). ، وقوله: (إنَّ اللهَ عنده عِلمُ الساعة ويُنَزّل الغيثَ) (٢٠) ، وقوله: (اعلموا أنَّما الحياةُ الدنيا لَعِبٌ ولهوٌ ، وزينة ، وتفاخُرٌ بينكم ، وتكاثرٌ في الأموالِ والأولادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أعجبَ الكُفّارَ نباتُه..) (٢١).
هذا مثل قرآني، إذ شبه ترف الحياة الدنيا وزينتها والتفاخر بالأموال والأولاد بغيث أو مطر أعجب الزراع النبات الذي نما وأينع من جرّاء هذا الغيث ، وقال تعالى كمثل غيث ولم يقل كمثل مطر ، لأنَّ المطر لا يأتي في القرآن إلاّ في موضع العذاب والانتقام ، بينما الغيث يكون في موضع الخير والنماء ، وهذا ما يتمناه الزُّرّاع ...

- الصَيِّب:

الصَيِّب_ بتشديد الياء وكسرها السحاب ذو الصوب، وهو الغيث، وبابه نَصَرَ(٢٢) ، وأصله (صَيْوب) اجتمعت الياء والواو ، والياء ساكنة فقلبت الواو ياءُ وأدغمت الياء في الياء فصارت (صَيِّب) ، كما قالوا (سيِّد) ، و (هيِّن) ، و (ليِّن) ، وقال بعض الكوفيين أصله (صَوِيب) على مثال (فَعيل) ، وردَّ النحاس هذا المذهب بقوله: (لو كان كما قالوا لما جاز إدغامه كما لا يجوز إدغام الطويل) (٢٣) .

والصَيِّب المطر الغزير ، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى في وصف حال المنافقين في إظهار الإيمان وما هم بمؤمنين: (مَثَلُهم كَمَثَل الذي استَوْقَد نارًا فلمّا أضاءَت ما حولَهُ ذهب الله بنورهم وتركهم في ظُلُماتٍ لا يُبْصِرون، صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فهم لا يرجعون ، أو كَصَيِّبٍ من السماءِ فيهِ ظُلُماتٌ ورعْدٌ وبَرْقٌ يجعلونَ أصابعهم في آذانِهم من الصَّواعِقِ حَذَر الموتِ) [٢٤]

هنا تشبيه حال بحال ، وقد فسر ابن قيم الجوزية ذلك بقوله: (... فضرب الله للمنافقين بحسب حالهم مثلَيْن، مثلا ناريًا ، ومثلا مائيًا ، لما في النار من الإضاءة والإشراق والحياة ، فإن النار مادة النور ، والماء مادة الحياة ، ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي ، فشبههم بأصحاب صَيِّب وهو المطر الذي يصوب، أي ينزل من السماء ، فيه ظلمات ورعد ، وبرق، فلِضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت زواجر القرآن ، ووعيده ، وتهديده، وأوامره، ونواهيه، وخطابه الذي يُشبه الصواعق ، فحاله كحال من أصابه المطر فيه ظُلمة ورعد وبرق، فلضعفه وخوره جعل أصابعه في أذنيه وغمض عينيه من صاعقة تصيبه) [٢٥].

وقال السد الطباطبائي في تفسيره: (هذا مثل ثانٍ يمثل به حال المنافقين أي إظهار الإيمان ، أنَّهم كالذي أخذه صَيِّب السماء ومعه ظلمة تسلب عنه الأبصار ، والتمييز ، فالصَيِّب يضطره إلى الفرار والتخلص) [٢٦].

- الوابل:

الوابل المطر الشديد ، وبابه وعد ، قال الرازي: (الوابل المطر الشديد ، وقد وَبلتِ السماءُ من باب وعد) [٢٧] ، والذي يعضد قول الرازي قوله تعالى: (فأَخَذْناهُ أخْذًا وبيلاً) [٢٨]، قال الأخفش: (أخذًا وبيلاً أي شديدا ، وحَرب وبيل ، وعذاب وبيل أي شديد) [٢٩] . وقال ابن عباس (رضي الله عنهما) ومجاهد، وقتادة، والسدي ، والتوزي، إنَّ معنى قوله (أخذا وبيلا) (أخذًا شديدا فاحذروا أنتم أن تُكذّبوا هذا الرسول فيُصيبيكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيزٍ مقتدر ، كما قال تعالى: (فأَخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخرة والأولى) ، وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم) [٣٠] .وذهب الرازي في تفسيره إلى أنَّ (الوبيل) (يحتمل معنيين الأول الثقيل الغليظ ، يقال صار هذا وَبالاً عليه ، أي أفض به إلى غاية المكروه ، ومن هذا قيل للمطر العظيم وابل ، والمعنى الثاني الشيء الذي لا يستمر ، وماء وبيل وخيم إذا كان غير مريء) [٣١] ، بالمعنى الأول جاء قوله تعالى: (فَذاقوا وَبالَ أمْرِهم) [٣٢] ، أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ، ولهم عذاب أليم في الآخرة.[٣٣]

وردت لفظة (وابل) بهذه الصيغة في عدّة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى في حال المنافقين في الإنفاق: (وَمَثَلُ الذينَ يُنْفقونَ أموالَهُم ابْتِغاء مرضات اللهِ وَتَثْبيتًا مِن أنفسهم كَمَثَلِ جنَّةٍ بربْوة أصابَها وابلٌ فآتت أُكُلَها ضِعْفَين ، فإن لم يُصبِها وابلٌ فَطل) [٣٤]. وفسر ابن قيم الجوزية هذه الآية أحسن تفسير بقوله: (والعمل الذي عمله لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر الأملس (الصفوان) فقوة ما تحته وصلابته تمنعه من الثبات والنبات عليه عند نزول الوابل ، فليس له مادة متصلة بالري تقبل الماء وتنبت الكلأ ، وكذلك قلب المرائي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي ، والقضاء والقدر، فإذا نزل عليه وابل الوحي انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه فبرز ما تحته حجرا صلدا لا نبات فيه ، وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرائي ونفقته لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوج ما كان إليه) [٣٥].

لقد شبه الله سبحانه الذي ينفق الشيء الكثير بالوابل، وشبه الذي ينفق الشيء القليل بالطل ، قال ابن القيم : (والطل مطر صغير القدر يكفيها لكرم منبتها تزكو على الطل وتنمو عليه ، مع ان في ذكر الوابل والطل إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل، فمنهم من يكون إنفاقه وابًلا ، ومنهم من يكون إنفاقه طلا ، والله لا يضيع مثقال ذرّة) [٣٦].فمعنى قوله (أصابها وابلٌ) يعني الرَّبوة، أصابها مطر شديد.، قال القرطبي: (أصابها وابل يدل على أنَّها ليس فيها ماء جارٍ ، ولم يرد جنس التي تجري فيها الأنهار) [٣٧]

- الطل:

الطَلُّ – بفتح الطاء مصدر(طَلَّ) الإبل إذا ساقها سوقًا عنيفًا [٣٨]، والطَّل هو المطر الضعيف ، وطلَّت الأرض إذا نزل عليها الطل [٣٩] ، وفيه أنشد ابن السِّيِّد البطليوسي (٥٢١هـ) :

لها مُقْلَتا أدْماءٍ طَلَّ خميلةً منَ الوَحش ، ما تَنفكُّ ترعى عَرارها [٤٠]

في هذا البيت تقديم وتأخير فالتقدير:

لها مُقلتا أدماءٍ منَ الوحش ما تَنْفكُ ترعى خميلةَ طَلَّ عرارها

والعرار: نوع من النبات وقد نزل عليها الطل، وهو الندى. فالطل إذن هو المطر القليل أو الندى. وقد ورد (الطل) في قوله تعالى: (فإن لم يُصبها وابلٌ فَطلٌ) [٤١] وقد تقدم بيان ذلك في كلامنا على (الوابل) ، ففي هذا التعبير تأكيد لمدح هذه الربوة، فإن الطل يكفيها وينوب مناب الوابل في إخراج الثمرة ضعفيْن وذلك لكرم الأرض وطيبها ، قال المبرّد وغيره: تقديره فطل يكفيها [٤٢] ، وقال الماوردي: (وزرع الطل أضعف من زرع المطر ، وأقل ريعًا ، وفيه وإن قل تماسك ونفع) [٤٣].

- الوَدْق:

الوَدْق _ بفتح الواو وسكون الدال ، المطر عامة ، سواء أكان شديدا أم غزيرا فكل ما نزل من ماء السماء هو (وَدْق)

قال الخليل: (الوَدْق المطر كله ، شديده ، وهيِّنه) [٤٤] .

وقال أبو زيد الأنصاري: (الوَدْق السَّحُ) [٤٥] ، أي المطر الشديد الذي يسح . وقال الخطيب التبريزي : (الـوَدْقُ : المطر الشديد) [٤٦] .
والصواب أنَّ الودْق هو المطر الشديد لا يشمل المطر الهيّن لانعقاد الإجماع على ذلك. قالت العرب : حرب ذات وَدْقَين ، أي شديدة تشبه بسحابة ذات مطرتَين شديدتين. [٤٧] .
وردت لفظة الودْق في الشعر كقول عامر بن جوين الطائي :
فلا مُزْنَة وَدَقَت وَدْقها   ولا أرضَ أبْقلَ إبقالُها [٤٨]
ومثله قول زيد الخيل:
ضَرَبْنَ بغمرةٍ فَخرجْنَ منها   خروجَ الوَدْق من خلل السحابِ [٤٩]
وقول لبيد:
رُزقت مرابيعَ النجومِ وصابها   وَدْق الرواعدِ جَوْدُها [٥٠] فرهامُها [٥١]
وقد ورد الوَدْق في القرآن الكريم كقوله تعالى: (ألم تَرَ أنَّ اللهَ يزجي سحابًا ثُمَّ يؤلِف بينه ثمَّ يجعلُهُ رُكامًا فترى الوَدْقَ يخرج من خلالهِ) [٥٢].
فالله تعالى(يدفع السحاب في حركة هادئة ثم يقرب أجزاءه إلى بعضها ويضغطها ، ويجعلها متراكمة ، عندئذٍ ترى أن قطرات المطر تتساقط من أعماق ذلك السحاب) [٥٣]
إنه تعالى يسوق ذلك السحاب بقدرته أول ما ينشئها ثم يؤلف بينه أي يجمعه بعد تفرقة ثم يجعله متراكما أي يركب بعضه بعضا فترى الودق أي المطر يخرج من خلاله.[٥٤]
وقال تعالى أيضا: (اللهُ الذي يرسِلُ الرِّياح فتثيرُ سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ، ويجعلهُ كِسَفًا فترى الوَدْقَ يخرجُ من خلاله) [٥٥] .
والكِسَف: القطع المتراكمة من السحاب ، يخرج من بين فرجه سوداء داكنة حالة للمطر ، [٥٦]

- الماء:

أصل (ماء) : (ماهٌ) ، الهمزة مبدلة من الهاء في موضع اللام ([٥٧] . والأصل(مَوَهٌ) تحركت الواو وفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصارت (ماهٌ) ، ويجمع على (أمواه) ، و(مياه)
وقد وردت (ماء) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم مرادا بها المطر كقوله تعالى : (وهو الذي أنزل من السَّماء ماءً وأخرجْنا به نبات كلِّ شيء) [٥٨] . نقل الواحدي في البسيط عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه يريد بالماء ههنا المطر . [٥٩]
الظاهر أن النص يقتضي نزول المطر من السماء لا من السحاب إذ ذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل الماء من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض [٦٠] . ونزوله من السماء على الحقيقة تبعا للعملية الفيزيائية وهي أن الشمس تؤثر في الأرض لتخرج منها أبخرة متصاعدة فإن وصلت إلى الجو بردت فثقلت فنزلت من قضاء المحيط إلى ضيق المركز فتتولد من اتصال بعض تلك الذرات بالبعض قطرات المطر [٦١]. هذا تفسير الطبيعيين وأما أهل الشرع فقد قالوا أنَّ الله هو الفاعل وليست العملية الفيزياوية المعروفة في الكتب العلمية . [٦٢]

وقال تعالى: (وأنزلنا منَ المُعْصراتِ ماءً ثَجّاجا) [٦٣] .
اختلفوا في معنى المعصرات فقد قال عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) ان المعصرات الرياح التي تحمل المطر ، وقال علي بن أبي طلحة المعصرات السحاب ومثله قال الفراء ، وعن الحسن ، وقتادة ، (ومن المُعصرات يعني السماوات وعدّا القول الأخير غريبا. والأظهر من هذه الأقوال هو أن المُعصرات السحاب، ومعنى ثجاج منصب أو متتابع أو كثير . [٦٤] ، فيكون معنى الآية وأنزلنا من السحاب مطرا منصبا ومتتابعا كثيرا. ومنه قوله تعالى: (إنَّا صَبَبْنا الماءَ صبًّا) [٦٥] .بمعنى إنا أنزلناه من السماء على الأرض فنبت نبات الأرض وارتفع.

- الحُسْبان:

الحُسبان بضم الحاء هي العذاب والبلاء [٦٧] ، وقال أبو عبيدة والأخفش والقتبي : الحُسبان مرامي السماء واحدتها حُسبانة [٦٨] ، وقال ابن الأعرابي الحُسبانة السحابة، والحُسبانة الوسادة ، والحسبانة الصاعقة [٦٩] .
وقال أبو زياد الكلاولي : أصاب الأرض حُسبانٌ أي جراد، والحُسبان أيضا الحساب [٧٠] ، فالحسبان إذن لفظ مشترك لهذه المعاني المتعددة. قال تعالى: (الشّمسُ والقمرُ بحسبان) [٧١] ، وقال تعالى أيضا: (ويُرسِل عليها حُسبانا من السماء) [٧٢] أي عذابا وبلاءً من السماء.
قال ابن منظور : (والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها ، ولهذا قال (فتُصبح صعيدا زلقا))[٧٣] أي ترابا أملس لا نبات فيه ، وهذا القول مناسب للآية فكأن الله تعالى أرسل على تلك الجنة عذابا من السماء يتمثل بمطر شديد تصحبه عاصفة هوجاء كسرت الأشجار والنخيل فحالتها إلى أرض ملساء لا نبت فيها فأصبحت خاوية على عروشها كما وصفها الله تعالى.

المبحث الثاني

الألفاظ المعبرة عن المطر
عن طريق المجاز

وردت في القرآن بضعة ألفاظ عبرت عن المطر عن طريق المجاز من باب التوسع في اللغة ، وهي:
*السَّماء:
عرف اللغويون السماء بأنها كل ما علانا ، ولذلك قيل لسقف البيت سماء [٧٤].
وترد السماء في العربية مرادا بها ثلاثة معانٍ ، الأول: هو كل ما علاك ، والثاني: سقف البيت، والثالث: المطر. فهي إذن مشترك لهذه المعاني فإذا كانت بمعنى العلو أنثت في لغة العرب [٧٥] لأنها جمع (سماءة)[٧٦] أو جمع (أسمية) و (سماوات)[٧٧]. قال تعالى: (ثمَّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض آتيا طوعًا أو كَرهًا قالَتا أتينا طائِعين) [٧٨]، قال هي ولم يقل هو ، وقال لها ولم يقل له ، فدل على أنها مؤنث، أمّا إذا كانت السماء بمعنى (سقف البيت) فقد قال الخليل أنّها تذكر واحتج بقوله تعالى: (السَّماء منْفَطر به) [٧٩] فقد كان يفسر ذلك في ضوء نظام العربية على منهجه، قال سيبويه: (زعم الخليل_رحمه الله_ أنَّ السماء منفطر به كان وَعْدُهُ مَفعولا) [٨٠] كقولك: مُرضع للتي بها الرضا ع ، وأما المنفطرة فيجيء على العمل كقولك: فشُقة، وكقولك: مُرضعة التي ترضع) [٨١].
وزعم يونس أنَّ سماء البيت يذكر ويؤنث [٨٢] ، أما إذا كانت السماء بمعنى المطر ذُكّر ، قال ابن خالويه: (والسماء إذا أريد به المطر فهو مذكر ، وجمعه سُمَيّ ، وأسمِية ، تقول العرب: مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، أي المطر) [٨٣].
وأنشد الآمدي:

إذا نَزَلَ السَّماءُ بأرضِ قومٍ رَعَيْناهُ ، وإن كانوا غِضابا [٨٤]

يريد:إذا نزل المطر رعيناه، أي رعينا النبت الذي يكون بسببه ، وهذا مجاز مرسل علاقته السببية .
وقد ورد السماء بمعنى المطر في عدة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى: (يُرسِلِ السَّماء عليكم مِدرارا)[٨٥]، أي المطر متتابعا ، أي إن هذه السحب تدر مطرا متتابعا ينبت الخير [٨٦]، وقوله تعالى: (قل من يرزقكم من السماء والأرض) [٨٧]، أي من السماء من مطر وثلج ونحوه [٨٨]

- الرِزْقُ:

الرزْق- بكسر الراء هو ما ينتفع به [٨٩] ، وهو العطاء [٩٠] ، أو هو ما يعتمد عليه ورَزَقَ يَرْزُقُ رِزْقا والقياس أن يقال(رَزْقا) بفتح الراء وهو مصدر (رَزَقَ)، قال الخليل: أرزَقَ اللهُ يرزق العباد رزقا اعتمدوا عليه وهو الاسم أُخرج على المصدر، وقيل رَزْق على الأصل وهو المصدر) [٩١] .
وقال : (وإذا أخذ القوم أرزاقهم قيل ارتزقوا رَزْقة واحدة أي مرة) [٩٢].
وقد يسمى المطر رزقا وهو مجاز واتساع في اللغة كما يقال(التمرُ في قعر القُليب يعني به سقي النخل)[٩٣].
فقد جاء في اللسان: (جعل الرزق مطرا لأن الرزق عنه يكون) [٩٤] .
وورد الرزق في القرآن بهذا المعنى منه قوله تعالى: (هوَ الذي يريكُم ءاياته وينزّل لكم من السماء رزقا، وما يتذكر إلاّ من ينيب) [٩٥]. قال الرازي في تفسيره : (وينزل لكم من السماء رزقا وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ، وما هو مشاهد بالحس، ومن اختلاف ألوانه وطعومه وروائحه وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء) [٩٦] . وقوله تعالى: (وما أنزلَ الله من السماءِ من رِزْق فأحيا به الأرض بعد موتِها) [٩٧] ، فإطلاق الرزق على المطر مجاز مرسل علاقته المسببية وهي أن يكون المنقول عنه مسببا وأثرا لشيء آخر وذلك فيما ذكر لفظ المسبب وأريد به السبب) [٩٨]
وقال تعالى: (وفي السماءِ رِزْقُكم وما توعَدون) [٩٩]، أراد بالرزق، المطر الذي هو مسبب للرزق. وقيل بل أراد في المطر رزقكم بجعل السماء مطرا ، وهو أحد معانيها التي مرَّ ذكرها، وقد سمي المطر سماء لأنه من السماء ينزل، قال الشاعر:

إذا سقط السماء بأرضِ قومٍ رَعيناهُ وإن كانوا غِضابا

وقال ابن كيسان: يعني به ربُّ السماء رَزَقكم [١٠٠] ، وهو بعيد عن طبيعة اللغة وقالوا نظيره قوله تعالى: (ومَا مِن دابَّةٍ في الأرضِ إلاّ على اللهِ رِزْ قُها) [١٠١]

- الرَّحْمة:

الرَّحْمة- بفتح الراء وسكون الحاء: الرقَّة والتعطف. [١٠٢]. وتراحم القوم رحم بعضهم بعضا [١٠٣].
وسمي الغيث رحمة لأنه تعالى برحمته ينزل من السماء [١٠٤] .
وقد وردت اللفظة (رحمة) في القرآن الكريم مرادا بها المطر في عدة مواضع كقوله تعالى: (إنَّ رَحمّت اللهِ قريبٌ من المحسنين) [١٠٥] ، إذ أريد بالرحمة هنا المطر ولذلك قال (قريب) ولم يقل (قريبة) ، فاللفظة خرجت من معناها الحقيقي وهو الرقة والتلطف إلى معنى مجازي وهو المطر وهو اتساع في اللغة ، ودليل ذلك قوله تعالى: (وهو الذي أرسلَ الرياح بشرًا بين يدي رحمَتِه وأنزل من السماءِ ماءً طهورا) [١٠٦]. وقوله: (هو الذي يرسل الرياح مبشّراتٍ بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا) [١٠٧] جاء في تفسير الميزان: (مبشراتٍ أي تبشر بالمطر) [١٠٨]، وقال تعالى: (فانظر إلى آثار رحمة الله) [١٠٩] .

جاء في تفسير الميزان (أي المطر وغيره) [١١٠]، وهناك مواضع كثيرة وردت فيها الرحمة بمعنى المطر لا يمكن حصرها هنا ونكتفي بهذه المواضع.

- الرَّجْعُ:

رَجَعَ يرجَعُ رَجْعا ،ورجوعًا، ورجعى، ورَجْعانا، ومَرجَعا، ومَرْجَعة ،كلها مصادر [١١١] للفعل رَجَع وبابه فَتَحَ. وفي التنزيل (إنَّ إلى ربِّك الرُّجْعى) [١١٢] أي الرجوع ، وقوله تعالى: (والسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ) [١١٣] ، ويقال ذات النَّفع [١١٤] وهو المطر ، قال الرازي: (قال الزجاج الرجع هو المطر لأنه يجيء ويتكرر. واعلم أنَّ كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة صريح في أنَّ الرجع ليس اسما موضوعا للمطر بل سمي رجعا على سبيل المجاز [١١٥] .
وذكر لحسن المجاز هذا أربعة أوجه [١١٦] من وجهة نظر أهل اللغة هي:

١. قال القفال كأنه من ترجيع الصوت وهو إعادته ووصل الحروف به فكذا المطر لكونه عائدا مرة بعد أخرى سمي رجعا.
٢. إنَّ العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض.
٣. إنهم أرادوا التفاؤل فسموه رجعا ليرجع.
٤. إنَّ المطر يرجع كل عام وهذا قول الفراء.

وذكر أقوال المفسرين في الرجع وهي ثلاثة [١١٧] :

١. قال ابن عباس (والسماء ذات الرجع) أي ذات المطر يرجع لمطر بعد مطر .
٢. رجع السماء إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الأزمان ثم يرجعه رجعا ، أي تعطيه مرة بعد أخرى وهو قول قتادة .
٣. قال بن زيد هو أنها ترد وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبيهما .

ورجح الرازي القول الأول لأنه الأوفق والمجمع عليه وهو ما يرجحه الباحث أيضا .

نتائج البحث

يمكن إيجاز نتائج البحث التي توصلنا إليها على النحو الآتي:

أولا: الألفاظ الصريحة المعبرة عن المطر في القرآن الكريم ثمانية ألفاظ ، في حين نجدها في العربية قد تجاوزت الثلاثين لفظا كما تشير إلى ذلك المصادر ككتاب المطر لأبي زيد الأنصاري ، ضمن مجموعة البلغة في شذوذ اللغة ، وكتاب مبادىء اللغة للإسكافي.

ثانيا:أكثر العلماء والدارسين لا يفرقون بين (المطر) و(الغَيْث) ، فكانوا يعدون اللفظين مترادفين ، والواقع إن المطر لم يأت في القرآن إلا في موضع الانتقام ، في حين يأتي الغيث في الخصب والخير ، وأول من تنبه إلى هذه الحقيقة أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ).

ثالثا: الألفاظ المعبرة عن المطر في القرآن الكريم ضربان: الأول: الألفاظ المعبرة عن طريق الحقيقة وهي: المطر، والغَيْث ، والصَيِّب، والوابل، والطل، والود ق، والحسبان، والماء، والضرب الثاني: الألفاظ المعبرة عنه عن طريق المجاز، وهو اتساع في اللغة وهي: السماء ، والرزق ، والرَّحمة، والرجع.

رابعا:إنَّ للمطر معنيين، حقيقيا ومجازيا، أما المعنى الحقيقي فهو تعبير بعض الخاصة والعامة ، وهو الماء المنزل من السماء إلى الأرض ، وأما المعنى المجازي فهو مقتصر على التعبير القرآني ، وهو الحجارة المنزلة من السماء في موضع الانتقام والعذاب.

خامسا: إن الألفاظ المعبرة عن المطر في القرآن الكريم لا تعد من الألفاظ المترادفة ، ولذلك فقد دلت كل لفظة على معنى خاص من حيث كمية المطر وصفته ، ولذلك اختلف أهل اللغة في دلالة كل لفظ ، وإن كان هناك معنى يربط بينها وهو الماء المنزل من السماء، فالودق مثلا قال عنه الخليل بأنه المطر كله شديده وهيّنه ، وقال غيره هو المطر السَّح .

ساساً: انتقلت بعض الألفاظ من الدلالة اللغوية المعجمية إلى الدلالة الاصطلاحية مثل (الوابل) للمطر الشديد انتقلت من (الوبال)الذي هو الأمر الشديد كقوله تعالى: _(فذاقوا وبالَ أمرهم) وقوله (فأخَذْناه أخذًا وبيلا) وهذا تطور دلالي من المحسوس إلى الملموس.

الهوامش والتعليقات

١_ينظر اللسان (مطر) ١٥٤/١٤، لم أقف على اسم الشاعر.
٢_جمهرة اللغة (مطر) ٣٧٥/٢.
٣_المصدر نفسه (مطر) ٣٧٥/٢، وينظر مختار الصحاح (مطر) ٦٢٦.
٤_مختار الصحاح (مطر) ٦٢٦.
٥_اللسان (مطر) ١٥٤/١٤.

٦_ينظر الديوان ١٨٣، والبيت من شواهد سيبويه ٣١٣/١، والمقتضب ٢١٤/٤، والأصول ٤٢٠/١،وشرح السيرافي ٤٦/٣، والمغني ٣٧٩/١، وهو شاهد على تنوين (مطر) ، وتركه على ضمه لجريه في النداء واطراد ذلك على كل علم مثله فأشبه المرفوع غير المتصرف في غير النداء فلما نون ضرورة وترك على لفظه كما ينون الاسم المرفوع الذي لا ينصرف فلا يغيره التنوين من رفعه.
٧_البيان والتبيين ٢٠/١ (هارون) .
٨_مقاييس اللغة (مطر) ٣٣٥/٥.
٩_سورة الحجر ٧٤.
١٠_سورة الشعراء ١٧٣.
١١_سورة الفرقان ٤٠.
١٢_معجم البلدان ٢٠٠/٣.
١٣_سورة الأنفال ٣٢.
١٤_تفسير الميزان ٥٦٧/١.
١٥_مختار الصحاح (غ ي ث)٤٨٥.
١٦_المصر نفسه ٤٨٥.
١٧_المنجد (غ ي ث)٥٦١.
١٨_سورة يوسف ٤٩.
١٩_سورة الشورى ٢٨.
٢٠_سورة لقمان ٣٤.
٢١_سورة الحديد ٢٠.
٢٢_مختار الصحاح (ص و ب)٣٧٢.
٢٣_إعراب القرآن للنحاس ١٣٣/١.
٢٤_سورة البقرة ١٧-١٩.
٢٥_أمثال القرآن ٥٣-٥٥.
٢٦_تفسير الميزان ٥٦/١.
٢٧_مختار الصحاح (و ب ل)٧٠٧.
٢٨_سورة المزمل ١٦.
٢٩_مختار الصحاح (و ب ل)٧٠٧، وينظر تفسير الجلالين ٤٧٤.
٣٠_تفسير القرآن العظيم ٤٣٨/٤.
٣١_مفاتيح الغيب ١٦٢/١٥.
٣٢_سورة التغابن ٥.
٣٣_أنوار التنزيل ١٠٥/٢.
٣٤_سورة البقرة ١٦٥.
٣٥_أمثال القرآن ١١٨-١١٩.
٣٦_المصدر نفسه ١١٦.
٣٧_الجامع لأحكام القرآن ٢٠٥/٤.
٣٨_المثلث (طلل) ٨٢/٢.
٣٩_المصدر نفسه ٨٢/٢.
٤٠_المصر نفسه ٨٢/٢، والبيت غير معزو.
٤١_البقرة ٢٦٥.
٤٢_الجامع لأحكام القرآن ٢٠٦/١.
٤٣_تفسير الميزان ٦٥/١.وينظر مبادىء اللغة ١٨.
٤٤_العين (و د ق) ١٩٨/٥، وينظر اللسان (ودق) ١٣٠/١٥.
٤٥_كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري (البلغة في شذوذ اللغة ص١٠٦).
٤٦_تهذيب إصلاح المنطق ١٦١/١.
٤٧_العين (ودق) ١٩٨/٥.
٤٨_اللسان (ودق) ١٣٠/١٥.
٤٩_المصدر نفسه (ودق) ١٣٠/١٥.
٥٠_الجَوْد: المطر
٥١_شرح الديوان ق٤٨،ص٢٩٨.
٥٢_ سورة النور ٤٣.

٥٣_معارف القرآن ٣٦٣.
٥٤_تفسير القرآن العظيم ٣٠١/٣-٣٠٢.
٥٥_سورة الروم٤٨.
٥٦_الجامع لأحكام القرآن ٢٧١/١٤.
٥٧_اللسان (موه)٤٠٥/٨.
٥٨_سورة الأنعام ٩٩.
٥٩_مفاتيح الغيب ١٥٣/٤.
٦٠_أنوار التنزيل ١٢٦/١.
٦١_المصدر نفسه ١٢٦/١.
٦٢_المصدر نفسه ١٢٦/١.
٦٣_سورة النبأ ١٤.
٦٤_مختصر تفسير ابن كثير ٥٨٧/٣.
٦٥_سورة عبس ٢٥.
٦٦_مختصر تفسير ابن كثير ٥٩٨/٣.
٦٧_الجامع لأحكام القرآن ٢٦٥/١٠، واللسان (حسب) ٤٣٣/٢.
٦٨_المصدر نفسه ٢٦٥/١٠.
٦٩_ المصدر نفسه ٢٦٥/١٠ .
٧٠_المصدر نفسه ٢٦٥/١٠.
٧١_ سورة الرحمن ٥.
٧٢_سورة الكهف ٤٠.
٧٣_اللسان (حسب)
٧٤_ينظر العين (سمو) ٣١٩/٧، ومختار الصحاح (سما) ٣١٦، واللسان (سمو) ٣٩٨/١٤.
٧٥_الأزمنة لقطرب (مجلة المورد مج ١٣،ع٣، ص١١٣) .
٧٦_اللسان (سمو) ٣٩٨/١٤.
٧٧_مختار الصحاح (سما) ٣١٦.
٧٨سورة فصلت ١١.
٧٩_ سورة المزمل ١٨.
٨٠_سورة المزمل ١٨
٨١_ الكتاب ٤٧/٢
٨٢_الأزمنة لقطرب (مجلة المورد مج ١٣، ع٣، ص١١٣).
٨٣_إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٠٩.
٨٤_الموازنة ٣٤، وروي صدر البيت : فلو رفع السماء بأرض قوم، ينظر اللسان (سمو) ٣٩٨/١٤.
٨٥_ سورة هود ٥٣.
٨٦_تفسير الميزان ٢٧٢/١.
٨٧_سورة يس ٣١.
٨٨_تفسير الميزان ٢٥٥/٢.
٨٩_مختار الصحاح(رزق) ٢٤١، والمنجد (رزق) ٢٠٨.
٩٠_المصدران أنفسهما.
٩١_العين (رزق) ٨٩/٥.
٩٢_ المصر نفسه ٨٩/٥.
٩٣_مختار الصحاح (رزق) ٢٤١.
٩٤_اللسان (رزق) ١٤٦/٦.
٩٥_سورة غافر١٣.
٩٦_تفسير الرازي ٨٣/٢٧.، وينظر تفسير القرآن العظيم ١٢٣/٧.
٩٧_سورة الجاثية ٥.
٩٨_الإيضاح ١٥٦، وجواهر البلاغة ٢٩٣.
٩٩_سورة الذاريات٢٢.
١٠٠_مفاتيح الغيب ١٧٩/٢٨.
١٠١_سورة هود ٦.
١٠٢_مختار الصحاح (رحم) ٢٣٨.

١٠٣_المصدر نفسه (رحم) ٢٣٨.
١٠٤_اللسان (رحم) ١٢٥/٦.
١٠٥_ سورة الأعراف٥٦.
١٠٦_سورة الفرقان ٤٨.
١٠٧_سورة الأعراق ٥٧.
١٠٨_تفسير الميزان ٤٧١/٢١.
١٠٩-سورة الروم ٥٠.
١١٠_تفسير الميزان ٤٧١/٢١.
١١١_ينظر مفاتيح الغيب ٢٠/٣٢، واللسان (رجع) ٧٧/٤.
١١٢_سورة العلق ٨.
١١٣_سورة الطارق ١١
١١٤_اللسان (رجع) ٧٧/٤.
١١٥_مفاتيح الغيب ١٢٠/٣١.
١١٦_ المصر نفسه ١٢٠/٣١ ، وينظر اللسان (رجع)
١١٧_المصدر نفسه ١٢٠/٣١، وينظر اللسان (رجع).

مصادر البحث ومراجعه

المصدر الأول_ القرآن الكريم.
١. إعراب ثلاثين سورة من القران الكريم: ابن خالويه (الحسين بن أحمد ٣٧٠هـ) ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤١م.
٢. إعراب القرآن:النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد ٣٣٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي (د،ت).
٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي (عبد الله بن عمر) تقديم محمود عبد القادر الأرناؤوط ، دار صادر، بيروت ط١، ٢٠٠١م.
٤. أمثال القرآن :ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر ٧٥١هـ)، تحقيق الدكتور موسى بناي علوان العكيلي، مطبعة الزمان، بغداد ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٥. الإيضاح في علوم البلاغة/ الأماني والبيان والبديع ، مختصر تلخيص المفتاح للخطيب القزويني(جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ت٧٣٩هـ)، نشر مكتبة النهضة، بغداد (د.ت).
٦. البلغة في شذور اللغة : جمع وتحقيق الدكتور هفنر اوغست ، مطبعة الإباء اليسوعيين _ بيروت ١٩١٤م.
٧. البيان والتبيين: الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مؤسسة الخانجي – القاهرة ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م.
٨. تفسير الجلالين: الجلالين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، قدم له محمد كريم سعيد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٤م.
٩. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (اسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ)) ، إشراف محمود عبد القادر الأرناؤوط ، دار صادر/ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٠.التفسير الكبير ومفاتيح الغيب :الفخر الرازي(محمد بن عمر ت ٦٠٤هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١١.تفسير الميزان: العلامة الطباطبائي(السيد محمد حسين ٣٢١هـ) بيروت(د.ت)
١٢.جمهرة اللغة: ابن دريد (محمد بن الحسن ٣٢١هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،حيدر آباد _ الدكن ١٣٤٥هـ.
١٣جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : تأليف السيد أحمد الهاشمي ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م
١٤.ديوان الأحوص:(عبد الله بن محمد) ، جمع وتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٦٩م.
١٥.شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل(بهاء الدين عبد الله ٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
١٦.شرح ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري: حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢م.
١٧.العين: الفراهيدي(الخليل بن أحمد١٧٥هـ) ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ، والدكتور إبراهيم السامرائي، نشر دائرة الشؤون الثقافية العامة، طبع دار الرشيد، بغداد، ١٤٠٠-١٤٠٥هـ، ١٩٨٠-١٩٨٥م.
١٨. الكتاب: سيبويه(عمرو بن بشر بن عثمان ١٨٥هـ) ،تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٩.لسان العرب: ابن منظور الأفريقي(محمد بن مكرم ٧١١هـ)دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.
٢٠.مبادىء اللغة: الإسكافي(محمد بن عبد الله ٤٢١هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢١.المثلث: ابن السيد البطليوسي(عبد الله بن محمد ٥٢١هـ) ، تحقيق الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر ١٩٨١م.
٢٢.مختار الصحاح: الرازي(محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ٦٦٦هـ) ، دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٢٣.مختصر تفسير بن كثير: (إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ) ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١ ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٢٤.معارف القرآن: محمد تقي مصباح، مكتبة ذوي القربى، النجف (د.ت).
٢٥.معجم البلدان: الحموي(ياقوت بن عبد الله ٦٢٨هـ) ، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
٢٦.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:مؤسسة النبهان، بيروت (د.ت).
٢٧.معجم مقاييس اللغة:أبو الحسين أحمد بن فارس ت٣٩٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٨.الموازنة: الآمدي(أبو القاسم الحسن بن بشر ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، لقاهرة ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م.
٢٩.المنجد في اللغة والأعلام: (كرم البستاني) المكتبة الشرقية، بيروت، (د.ت).
٣٠. المورد (مجلة) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، المجلد١٣، العدد الثالث سنة ١٩٨٤م.

The Expressive Terms Concerning The Rain In The Holy Koran

Dr. Hussain Muhaisen Khatlan Al_Bakri
College Of Education For Women - Baghdad-University

Abstract:

The Holy Koran is the highest text in the eloquence, It is one of the important sources of the linguistic syntactic and eloquent study; it impacts upon these sciences Avery intense impact through advancing its verses as an argument in the confirmation of the significance of the term

The holy Koran was and still the fountain of the linguistic studies, as they tend towards it since the second century of the hegira. So this research is a study of the expressive terms concerning the rain in the holly Koran, a linguistic study; it aims to study the term concerning its linguistic and conjugate significance and its expression concerning the rain through reality and metaphor.